السعادة

د . عبد السلام مخلوفي

السعادة مفهوم يختلف مضمونه من شخص لآخر، فهي عند الفرد المسلم تختلف مظهرا و جوهرا عن غيره. كثيرا ما تجد أصحاب الشهوات و عبيد الدنيا و كأنهم في طرب و فرح و سرور. قهقهات تتعالى و نظرات تتقاطع و سمر فارغ على ضوء الشمس و القمر. حديث منهمر ثقيل و أجوف عن مصالح و مطامع، عن ملذات و شهوات. هذه السعادة تخضع لجاذبية واحدة هي جاذبية الأرض و التراب. مهما عظمت و انتفخت فهي إلى التراب فانية زائلة، إما بفناء المصالح أو بفناء الأجسام.

أما سعادة الفرد المسلم فهي ظاهرة روحية عجيبة. كُن صافي القلب تجاه الآخرين، كُن مراقبا لربك في سرك و علانيتك، كُن حريصا على تبليغ دعوتك و فكرتك للآخرين، إلى الحد الذي تتألم إن هم رفضوا أو استهزؤوا، كُن موقنا بأن رسالتك لغيرك هدية له منك، أغلى هدية في الحياة أن تنقذه من سبل النار لترشده سبيل الجنة و النجاة.

عندها سوف تحس بدغدغة تسري في جسمك لتخلصك من جواذب الدنيا، و عندها سوف تحس بنشوة روحية رقيقة تهز كيانك و تحاول أن تسمو بك إلى أعلى. عند هذه اللحظة فاعلم بأنك أقرب إلى السماء منك إلى التراب.

عوامل كثيرة تتجاذبك و تحاول أن تمزقك. و لكن عامل الخير في نفسك إن أنت ألهبته بنفحات من فيض إيمانك و غذيته بزاد المراقبة و المشاهدة، و وثقته برابطة ربانية مع إخوة في الله تناثرت عندئذ عوامل الشر و تطايرت.

هم الفرد المسلم الوحيد و مبتغاه الذي يصبو إليه هو أن يرض عنه مولاه، و يسكنه فسيح جنانه. هناك في تلك الدار تتجلى سعادة الفرد المسلم جليا، عندما تحشر الأجساد و ينصب الصراط و تتطاير الصحف و يحدد المصير و يكون الناس في هول عظيم و فزع و رعب شديد، يكون الفرد المسلم في أمان و هناء .